

المقاومة ورفض الوجود الاستعماري ومظاهره

التاريخ، السنة الثانية ثانوي، الوحدة التعليمية الثانية، الوضعية التعليمية الثالثة
ملخص درس من إعداد بوابة النجاح التعليمية، يشرح مفهوم المقاومة وأنواعها وأهدافها، وأبرز المقاومات المسلحة والسلمية، ومظاهر رفض الشعب الجزائري للوجود الاستعماري، ونتائج هذا النضال الطويل.

مفهوم المقاومة

المقاومة هي رد فعل الشعب الجزائري على الاحتلال الفرنسي، بالسلاح وبالسياسة معا، منذ أن وطئت أقدام المستعمر أرض الجزائر سنة 1830. واسم الحركات الوطنية يجمع هذا النضال العسكري والسياسي الذي خاضه الجزائريون من 1830 إلى 1962.

ولم تتوقف المقاومة يوما، بل تغيرت أساليبها مع تغير الظروف، فبدأت بالسلاح، ثم انتقلت إلى الفكر والسياسة، ثم عادت إلى السلاح مع ثورة التحرير.

أنواع المقاومة

■ المقاومة المسلحة، وهي التي تعتمد القوة العسكرية، وقد سادت من 1830 إلى بدايات القرن العشرين، ثم عادت بقوة مع ثورة أول نوفمبر 1954.

■ المقاومة السلمية، وهي التي تعتمد الفكر والسياسة، وقد برزت خاصة من بدايات القرن العشرين إلى 1945، وتشمل المقاومة الفكرية بتأسيس الجمعيات والنوادي وإصدار الصحف وإنشاء المدارس، والمقاومة السياسية بتقديم العرائض وتأسيس الأحزاب والمشاركة في الانتخابات وتنظيم المظاهرات.

أهداف المقاومة

■ طرد الاحتلال وجلاء الجيش الفرنسي وإنهاء الوجود الاستعماري في الجزائر.

■ استرجاع السيادة والاستقلال وبعث الدولة الجزائرية من جديد.

■ استعادة ما نهبه المستعمر من أراض وثروات وأموال.

■ إفشال مخططات الاستيطان والإدماج التي تستهدف إذابة المجتمع الجزائري.

■ بعث الشخصية الجزائرية والحفاظ على الهوية والانتماء الحضاري.

■ حماية وحدة الشعب واستمرارية الدولة وتعلق الجزائريين بأرضهم.

■ نشر الوعي السياسي والحضاري بين الناس ومنع تقدم الاستعمار.

المقاومة المسلحة

للمقاومة المسلحة قسمان، رسمية قادها رجال الدولة، وشعبية قادها شيوخ الزوايا ورجال القبائل.

المقاومة الرسمية بدأت بمعركة سطاوالي في 19 جوان 1830، وهي أول مواجهة عسكرية عند نزول الفرنسيين، شارك فيها جنود الباي ووحدات المخزن. وبعد سقوط العاصمة توغل الفرنسيون نحو متيجة ثم نحو السواحل الشرقية والغربية، فاصطدموا بمقاومات محلية في عنابة ووهران والمرسى الكبير والبليدة والمدية. وقاد أحمد باي مقاومة الشرق، وانتهت المقاومة الرسمية بسقوط قسنطينة سنة 1837، ثم واصل أحمد باي جهوده معتمدا على سكان الأوراس والزيبان حتى 1848.

أما المقاومة الشعبية المسلحة فكانت امتدادا للمقاومة الرسمية، وتميزت بالطابع الجهادي، وتداخلت زمنيا وجغرافيا، وقاد بعضها قيادة جماعية، فأدركت فرنسا خطورتها وجندت قواتها للقضاء عليها. ومن أبرزها:

- مقاومة متيجة، وهي أول مقاومة شعبية مسلحة، من 1830 إلى 1840.
- مقاومة الأمير عبد القادر في الغرب الجزائري، من 1832 إلى 1847.
- مقاومة بومعزة.
- مقاومة بوبغلة ولالة فاطمة نسومر في بلاد القبائل، من 1851 إلى 1857.
- مقاومة سيدي الشيخ في الجنوب الغربي، منطقة البيض، من 1864 إلى 1872.
- مقاومة المقراني والحداد في الشرق الجزائري، من 1871 إلى 1872.
- مقاومة محمد بن تومي بوشوشة عبر الصحراء شرقها وغربها، من 1870 إلى 1875.

ولم تنجح هذه المقاومات عسكريا في طرد المستعمر، لكنها حققت نجاحا معنويا وطنيا، فرسخت روح الصمود والجهاد، ونقلت روح المقاومة بين الأجيال، وأخرت توغل الاستعمار نحو الداخل، وعرقلت مشاريعه الاستيطانية.

المقاومة السلمية

مرت المقاومة السلمية بثلاث مراحل. المرحلة الأولى أخذت شكل عرائض احتجاجية ورسائل، منها رسائل حمدان خوجة إلى الإدارة الفرنسية يصف فيها تجاوزات الفرنسيين في الجزائر، ورسالة حمدان خوجة إلى لويس فيليب سنة 1833، ورسائل أعيان الجزائر إلى القادة الفرنسيين تطالبهم باحترام التزامات فرنسا عند الاستسلام سنة 1830.

والمرحلة الثانية هي مرحلة تبلور النشاط الفكري، من أواخر القرن التاسع عشر إلى 1919، وظهرت فيها نخبتان. نخبة المحافظين، وهم علماء دين اجتهدوا للحفاظ على الشخصية الجزائرية والمطالبة بالمساواة في الحقوق دون تجنيس، ومن رموزهم عبد القادر المجاوي وعمر راسم وعبد الحليم بن سماية. والنخبة الليبرالية، وهم خريجو المدارس الفرنسية الذين رأوا الإصلاح في الإدماج، ومن رموزهم ابن التهامي. ورافق ذلك نشاط صحفي، مثل جريدة الجزائر سنة 1908، وجمعيات ونواد، مثل الراشدية سنة 1894 والتوفيقية سنة 1908 ونادي صالح باي سنة 1908 ونادي الترقى.

والمرحلة الثالثة هي مرحلة النضج السياسي، من 1919 إلى 1954، وفيها ظهرت الحركة الوطنية باتجاهاتها التالية:

- اتجاه المساواة، بزعامة الأمير خالد، الذي أسس جريدة الإقدام سنة 1920 وحزب الإخاء الجزائري سنة 1922، وطالب بالمساواة بين الجزائريين والفرنسيين دون إدماج، وإلغاء التجنيد الإجباري وقانون الأهالي.
- الاتجاه الاستقلالي، بزعامة مصالي الحاج، الذي أسس نجم شمال إفريقيا سنة 1926، ثم حزب الشعب الجزائري سنة 1937، ثم حركة انتصار الحريات الديمقراطية سنة 1946، وطالب بالاستقلال التام وجلاء الجيش الفرنسي وتعريب التعليم.
- الاتجاه الإدماجي، ممثلا في فيدرالية النواب المسلمين الجزائريين سنة 1927، ثم أحباب البيان والحرية سنة 1944، ثم الاتحاد الديمقراطي للبيان الجزائري سنة 1946.
- الاتجاه الإصلاحية، ممثلا في جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، التي تأسست في 5 ماي 1931 بقيادة عبد الحميد بن باديس ثم البشير الإبراهيمي، وأصدرت جرائد مثل المنتقد والشهاب، ورفضت التجنيس والإدماج، وحاربت البدع والخرافات، وعملت على إحياء اللغة العربية.
- الاتجاه الشيوعي، ممثلا في الحزب الشيوعي الجزائري سنة 1936، الذي طالب بالمساواة دون انفصال عن فرنسا وبال دفاع عن مصالح العمال.
- وفي الميدان الثقافي ظهرت الكشافة الإسلامية الجزائرية، وكان أول فوج لها سنة 1930 بمدينة مليانة على يد محمد بوراس، وعملت على تغذية الإحساس الوطني تحت شعار الإسلام ديننا والعربية لغتنا والجزائر وطننا.

مظاهر الرفض

من أبرز مظاهر الرفض بيان فيفري 1943، إذ اجتمعت النخبة الوطنية وصاغت بيانا تطالب فيه بالاستقلال. واعتبرته الإدارة الاستعمارية تحديا جزائريا في ظروف الحرب، فردت بمشاريع إصلاحية كان هدفها الإدماج، وأجلت انتقامها من الجزائريين إلى ما بعد الحرب.

ثم جاءت مظاهرات 8 ماي 1945، وهي مظاهرات سلمية خرج فيها الجزائريون احتفالاً بنهاية الحرب العالمية الثانية ومطالبة فرنسا بتنفيذ وعودها بالاستقلال، في مدن أهمها سطيف وقالة وخرائطة. وفي سطيف تقدم الشاب بوزيد سعال، وعمره 22 سنة، حاملاً العلم الوطني، فسقط شهيداً، لتبدأ مجازر شارك فيها الجيش والشرطة والدرك والمستوطنون.

وكان من أسباب هذه المظاهرات نضج الحركة الوطنية، والسياسات القمعية الفرنسية، وتنامي الوعي بعد المشاركة في الحرب، وميثاق الأطلسي سنة 1941 الذي نص على حق الشعوب في تقرير مصيرها، وتجاهل فرنسا لبيان 1943.

أما نتائجها فكانت قاسية، إذ سقط 45 ألف شهيد في أيام معدودة، وسقط آلاف المعطوبين والمفقودين والمعتقلين، وحلت الأحزاب الوطنية واعتقل زعمائها ونفي بعضهم، وتعمقت الكراهية لفرنسا الاستعمارية، واقتنع الجزائريون بحتمية الكفاح المسلح.

من المقاومة إلى الثورة

بعد مجازر 1945 أعيد بناء الحركة الوطنية، فأصدرت فرنسا قرار العفو الشامل في 9 مارس 1946، وأسس فرحات عباس الاتحاد الديمقراطي للبيان الجزائري، وظهر حزب الشعب باسم جديد هو حركة انتصار الحريات الديمقراطية في 2 نوفمبر 1946.

وأُسست الحركة جناحها العسكري، المنظمة الخاصة، في 15 فيفري 1947، بهدف التحضير للثورة وتجميع السلاح والتدريب العسكري وإقناع الشعب بحتمية الكفاح المسلح، وقامت بعدة عمليات فدائية قبل أن يكتشفها الاستعمار في 8 مارس 1950.

ثم تعمقت أزمة حركة الانتصار سنة 1953 بين المصاليين والمركزيين، وظهر تيار ثالث ثوري أسس اللجنة الثورية للوحدة والعمل في 23 مارس 1954، واجتمعت مجموعة الاثنين والعشرين في جوان 1954، ثم كان اجتماع الحسم في 23 أكتوبر 1954 الذي أقر البيان وحدد ساعة تفجير الثورة.

نتائج المقاومة

- المقاومة المسلحة لم تنجح في طرد الاستعمار رغم الخسائر التي أوقعها به، لكنها رسخت روح الصمود والجهاد، وأخرت تقدمه نحو المناطق الداخلية، وعرقلت مشاريعه الاستيطانية.
- المقاومة السلمية رسخت روح النضال بكل الأشكال والأساليب، وأفشلت المخططات الاستعمارية وكشفت وحشية الاستعمار خاصة بعد مجازر 8 ماي 1945.
- أكدت المقاومة أهمية التلاحم والاتحاد، وظهر ذلك في المؤتمر الإسلامي سنة 1936 وبيان فيفري 1943، وحافظت على وحدة الشعب وهويته وانتمائه الحضاري.

- استمر الرفض الشعبي عبر أساليب مختلفة، وفشلت محاولات إذابة المجتمع والشخصية الوطنية، وحفظت الوحدة الترابية للوطن رغم محاولات تمزيقه.
- نشرت المقاومة الوعي الوطني وأعدت الجيل الذي قاد الثورة التحريرية ونال الاستقلال.

خلاصة

- المقاومة الجزائرية مسار متواصل من 1830 إلى 1954، بالسلح والفكر والسياسة.
- تعددت أساليبها واتحد هدفها، وهو إنهاء الوجود الاستعماري واسترجاع السيادة.
- رغم فشلها العسكري في طرد المستعمر، نجحت في حفظ الهوية والوحدة وإعداد جيل الثورة.
- وكانت مظاهرات 8 ماي 1945 نقطة التحول التي أقنعت الجزائريين بحتمية الكفاح المسلح.